ملخّص برنامج بانوراما الرجعة العظيمة - الحلقة 40 / عبد الحليم الغزّي
الاطار الفكري والمعرفي للتفقه الزهرائي في عقيدة الرجعة العظيمة بحسب المنهج اليماني ج11
ما بين التوجه بهم والتوجه اليهم ج2
الخميس : 11/شوال/1446هـ - الموافق 10/4/2025م

"الإِطَارُ الْفِكْرِيّ وَالْمَعْرِفِيّ لِلتَّفَقُّهِ الزَّهْرَائِيّ فِي عَقِيْدَةِ الرَّجْعَةِ الْعَظِيْمَةِ بِحَسَبِ الْمَنهَجِ الْيَمَانِيّ"، حَيْثُ يَتحقَّقُ:
- **أولاً**: ثَبَاتُ العَقِيْدَة، أعني عَقِيْدَةَ الرّجْعَة العَظِيمَة..
- **وثانياً**: التَّعمُّقُ فِي عَقِيْدَةِ الرَّجْعَةِ العَظِيْمَةِ عبر سَبْرِ أغْوَارِهَا الرّوحيّة.
هذا كُلُّهُ إنَّما نستطيعُ الوصُولَ إليه من خلالِ مجموعة أُمُورٍ سيكونُ الحديثُ عن أهمِّها في هذه الحلقات:
- حدَّثتكم عَن الأمرِ الأوَّل: "التَّواصُلُ الصَّحِيحُ مَعَ القُرآن".
- وحدَّثتكم عَن الأمرِ الثَّاني: "دِرَايَةُ الحَدِيْثِ المعصُومي ورِعَايَتُه".
- ووصلتُ معكُم إلى الأمر الثَّالث: "ما بَيْنَ التَّوجُّه بِهِم، بِمُحَمَّد وآل مُحَمَّد صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْهِم، ما بَيْنَ التَّوجُّه بِهِم والتَّوجُّه إلَيْهِم".
تحدَّثتُ في بَيَانِ مَضمونِ هَذَا العُنْوَان، ثُمَّ جَعَلْتُ حَدِيثي في الشَّطرِ الأوَّلِ منه: "التَّوجُّهُ بِهِم"، وهُوَ الَّذي نَعرِفُهُ بالتَّوسُّل، التَّوسُّلُ حَقِيْقَةٌ تَكوِيْنِيّةٌ بِغَضِّ النَّظرِ عَن أيِّ نقاشٍ دِينيّ، لأنَّ الكونَ بُنِيَ تكوينياً ووجُودِيّاً على الأسباب، فَهُناكَ سَلاسِلُ العِلَلِ كما يُسَمِّيها الفَلاسِفَة..
إمامُنَا الصَّادِقُ صَلَوَاتُ اللَّه وسَلامُهُ عَلَيْه يَضَعُ أمامَنا قاعدةً تكوينيّةً وتَشْرِيْعيّة، قاعدةً من سِنخِ عَالَمِ الغَيبِ ومن سِنخِ عالَمِ الشَّهادة: (**أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَجْرِيَ الأُمُورُ بِأَسْبَابِهَا**)، هَذه إرادةُ اللّه في الملأ الأعلى، إرادةُ اللّه في الملأ الأسفل، إرادةُ اللّه في تكوينه لِكُلِّ هَذه الأكوان، وفي تَشرِيعِه لِكُلِّ الشَّرائع الَّتي مَرت وخُتِمت بِشَرِيْعَةِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله على دينٍ واحد..
وتَلوتُ عليكُم مِنَ الكتاب الكريم الآيَةَ السَّابِعَةَ والخَمسين بعدَ البَسْمَلَة من سُورة الإسراء: ﴿**أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**﴾.
ومن الآية هذه انتقلتُ إلى الآيَةِ الخَامِسَةِ والثَّلاثين بَعْدَ البَسْمَلَة من سُورة المائدة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.
مَا هُوَ الفَارِقُ بَيْنَ الآيَتَين؟ مع أنَّ موضوعَ الآيَتَينِ واحدٌ بالإجمال، لكنَّنا إذَا أردنَا أن نَدخُلَ إلى التَّفاصيل:
فإنَّ آيةَ سُورة الإسراء كَانَت تتحدَّثُ عَن وَصف الَّذينَ يَدعُون: ﴿**أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ** - ما هُوَ وَصفُهم؟ - **يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**﴾، إلى آخر الآية.
أمّا آيةُ سورة المائدة فإنَّها تأمُرُنا أمراً صريحاً أنَّ نَتمسّكَ بالوسيلة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** - الأمرَ الأوّل؛ **اتَّقُوا اللَّهَ** - والأمرُ الثَّاني؛ **وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾.
في (بصائر الدَّرجات) لمحمَّد بنِ الحَسَن الصفَّار، من أصحابِ إمامنا الحَسَن العَسكريّ صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْه، من أروعِ كُتُبِنا ومن أجملِها، طَبعَةُ مؤسَّسة النُّعمان/ بيروت - لبنان/ صفحة (212)، الحديثُ الحادي والعشرون: **بِسَنَدِه** -بسند الصفَّار - **عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيّ** - هكذا وردَ مَطبُوعاً، أَتَمَّتُنا يُوجِّهُونَنا أنْ إذَا ذَكرنَا سَلْمان أن نَصفهُ بالْمُحَمَّدِيّ - **عَنْ سَلْمَانَ الْمُحَمَّدِيّ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلامُهُ عَلَيْه، فِي قَول اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "قُلْ كَفَى بِاللَّه شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَاب"، فَقَالَ** - الأميرُ صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْه - **أَنَا هُوَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَاب** - ومن غيرُكَ يا أمير الأمراء؟! - **وَقَدْ صَدَّقَهُ اللَّه وَأَعْطَاهُ الْوَسِيلَةَ فِي الوَصِيَّة، وَلَا تَخْلُو أُمَّةٌ مِنْ وَسِيلَتِه إِلَيْه وَإِلَى اللّه، فَقَال: "يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْه الْوَسِيلَةَ"** - بَيَّنتُ لَكُم من أنَّ الأنبياءَ طُرّاً مع المُرسَلين لم تتكامَل نُبُوَّاتُهم ورِسالاتُهم إلَّا بِمَواثِيقِ وَلايَةِ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد الَّتي عُنوانُها الأوضَح؛ "وَلايَةُ عليّ"، عَلِيٌّ هُوَ الوَسِيلَةُ الإلهيّةُ العُظمى..
في الجزء الثَّاني من (تفسير البرهان)، جامعٌ من جوامعِ أحاديثنا التَّفسيريَّةِ المُهِمَّة جداً لِهَاشم البَحْراني، طَبعَةُ مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت - لبنان/ صفحة (449)، بِخُصوص الآيَة الَّتي نَحْنُ بِصَدَدِها، الحديثُ الثَّاني نَقَلَهُ عَن الْمُحدِّث الشِّيعيّ ابن شَهَر آشُوب المازَنْدَرَاني: قَالَ أمير الْمُؤْمِنِيْن صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلامُهُ عَلَيْه في قَوله تَعَالَى: " **وَابْتَغُوا إِلَيْه الْوَسِيلَةَ**" - قَالَ أمير الْمُؤْمِنِيْن بِخُصوص ما جَاء في هذه الآية - **قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيْن: أَنَا وَسِيلَتُه** - أنا الوَسِيلَةُ الإلهيّةُ العُظمى، وهل من شَكٍّ في ذلك يا أمير الْمُؤْمِنِيْن فأنتَ الوسيلةُ الإلهيَّةُ العُظمى، وأنتَ وسيلَتُنا إلى اللّه..
في الجزء الثَّاني من (عيونُ أخبار الرِّضا) للصَّدوق، المتوفَّى سنة (381) للهجرة، طبعةُ مؤسَّسة شَمْسُ الضُحى - إيران/ الصَّفحة الثَّانية والعشرين بعدَ المئة، الحديثُ السَّابعَ عَشَرَ بَعْدَ المئتين: **بِإِسْنَادِه** - بإسناده الَّذي تَقدَّمَ ذكرهُ في الأحاديث المتقدِّمة؛ إنَّها أحاديثُ سلاسل الذَّهَب الرِّضَويَّة، الرِّضا يُحدِّثُنا عَن آبائه الأطهَار، حتَّى يَصِلَ الكلامُ إلى رَسُول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله: **قَالَ رَسُولُ اللّه: الأَئِمَّةُ من وُلْد الحُسَيْن** - العِتْرةُ الحُسَينيّةُ من السجَّاد إلى القَائم صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيهِم - **مَنْ أَطَاعَهُم فَقَدْ أَطَاعَ اللّه، وَمَنْ عَصَاهُم فَقَدْ عَصَى اللّه، هُم الْعُرْوَةُ الوُثْقَى** - النَّبيّ الأعظَمُ يُحدِّثُنا عَن إمامِ زمانِنا، ما هُوَ قَائِمُهم - **وَهُم الوَسِيلَةُ إِلَى اللّه عَزَّ وَجَلَّ** - إمامُ زماننا هُوَ وَسيلَتُنا العُظمى..
في (تفسير القُمّي) لعلي بنِ إبراهيم القُمّي، طبعةُ مؤسَّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الصَّفحة الحادية والستِّين بعدَ المئة: **بِسَنَدِه** - بسند القميّ - **عَنْ عَلِيّ بنِ حَسَّان، عَنْ إِمَامِنَا البَاقِرِ صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْه** - موطن الحاجة من الرواية: **وَقَوْلُه** - قَولُهُ سُبحانَهُ وتَعَالَى - "**اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**" - يقولُ البَاقِرُ صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْه: **تَقَرَّبُوا إِلَيْه بِالإِمَام.**
ما جَاء في الآيَة الخَامسة والثَّلاثين بَعْدَ البَسْمَلَة من سُورة المائدة: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾، الإمامُ هُوَ وَسيلَتُنا وهُوَ مَلاذُنا وهُوَ غايةُ آمَالنا صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلامُهُ عَلَيْه، القُرآنُ بُنِيَ في أُسُسه على عقيدة التَّوسُّل على التَّوجُّه بِهِم إلى اللّه وعلى التَّوجُّه إليهِم، لأنَّهم وجهُ اللّه.
الآيَةُ الرَّابعةُ والثَّلاثون بَعْدَ البَسْمَلَة من سُورة البَقَرة: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ** - آدَمُ هُوَ الوسيلَة إلى مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، فآدَمُ الوَسِيلَةُ الصُّغرى إلى الوسيلَة الكُبرى مُحَمَّد وآل مُحَمَّد إنَّهُم وجهُ اللّه - **فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** - الَّذي لا يتوسَّلُ هُوَ مِنَ الكافرين، فَاعرِفوا مَدى ضلال سقيفةِ بني ساعدة، واعرِفوا مَدى ضَلال الَّذينَ يُوافقُونَهم في هذه المسألة من الطُوسيين، الآيةُ واضحةٌ في مَقام التَّوسُّل، الَّذي أبى التَّوسُّلَ واستكبر على التَّوسُّل فَهُوَ كَافِر، سَقيفَةُ بني ساعدَة تَتَّبِعُ منهجَ إبليس في هَذه المسألة وغيرها، إنَّهُم يُريدونَ أن يَعْبُدوا اللّهَ من حيثُ هُم يُريدون، القُرآنُ مبني على التَّوسُّل..
في الآيَة الثَّالثة والسَّبعين بعدَ البسملَة من سُورة ص وما بعدَها من الآيات: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ** - سَجدوا لأبينا آدم - **إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾، تأكيدٌ في هذه الفتوى على كُفر الَّذينَ يَستكبرونَ على عقيدة التَّوسُّل.

- **قَالَ يَا إِبْلِيسُ** - اللّهُ يُخاطبُ إبليس - **مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** - ما مَنعكَ أن تَتَّخذَ آدَمَ وَسيلَةً؟! - **أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾**، الَّذينَ لا يَتوَسَّلُونَ بوسيلَة لأنَّهُم علىَ اتِّصال مُباشِر معَ اللّه لأنَّهُم وَجهُ اللّه، مَن أنتَ يا إبليس؟ ما هُوَ شَأنُك؟ ما هُوَ حالُك؟

هُناكَ العَالُونَ فَقط الَّذينَ لا علاقَةَ لَهُم بِكُلِّ هذا الموضوع، ولذا فإنَّ اللّهَ سُبحانَهُ وتَعالى يقولُ لإبليس: **"أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ"**، من غَباء خُطبائنا كالوائلي وغيره، ومن غَباء مُفَسِّرينا أيضاً، ومن غَباء الَّذينَ يتحدَّثُونَ عَن القُرآن يقولونَ: "مِنَ الْعَالِينَ"؛ مِنَ الْمُستَكبِرين، ما هيَ الآيةُ قالَت: **"أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ"**، فَهلَ أنَّ الآيَةَ هكذا تقول: (أستكبرتَ أم كُنتَ مِنَ الْمُستكبرين)، ما هذا الهراء؟! فأينَ الفَصاحةُ وأينَ البلاغةُ وأينَ الأدَبُ العَربيُّ في أجمَلِ صُورِهِ في هذا الكتاب الكريم؟!

في الجزء السَّادس من (البرهان في تفسير القُرآن) لهاشم البحراني، طبعةُ مُؤسَّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ صفحة (516)، الحديثُ التَّاسع: **بِسَنَده، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** - الصَّحابيّ المعروف - **قَالَ: كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ رَسُولِ اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْه وَآله، إِذْ أَقْبَلَ إِلَيه رَجُل فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّه، أَخْبِرنِي عَنْ قَوْلَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ لِإِبْلِيس: "أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ"، مَن هُم يَا رَسُول اللّه الَّذينَ هُم أَعْلَى مِنَ الْمَلائكَة الْمُقَرَّبِين** - لأنَّ الملائكة الْمُقرّبينَ سَجدُوا بأجمعهم، فَمَن هُم هؤلاء العَالُونَ الَّذينَ لا يَسجُدُونَ؟ - **فَقَالَ رَسُولُ اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْه وَآله: أَنَا وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ والحُسَين** - نَحنُ العَالُونَ بِرغمِ آناف الجَميع - **كُنَّا فِي سُرادِق الْعَرْش نُسَبِّحُ اللّه فَسَبَّحَت الْمَلائكَةُ بِتَسْبِيحنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللّهُ آدَمَ بِأَلْفَي عَام، فَلَمَّا خَلَقَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَم أَمَرَ الْمَلائكَةَ أَن يَسْجُدُوا لَه وَلَم يُؤْمَرُوا بِالسُّجُود إِلَّا لأَجْلِنَا** - إنَّهُ وسيلَةٌ إليهِم - **فَسَجَدَت الْمَلائكَةُ كُلُّهُم أَجْمَعُون** - التّعبير الأنسب: (فَسَجَدَ الْمَلائكَةُ كُلُّهُم أَجْمَعُونَ)، هذه أخطاءٌ مطبعيّة، وأخطاءٌ من الرُّواة، وأخطاءٌ من النُّساخ - **فَسَجَدَ الْمَلائكَةُ كُلُّهُم أَجْمَعُون إِلَّا إِبْلِيس فَإِنَّهُ أَبَى أَن يَسْجُد، فَقَالَ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ"، قَالَ: مِن هَؤُلاء الخَمْسَة الْمَكْتُوبَة أَسْمَاؤُهُم فِي سُرادِق العَرْش، فَنَحْنُ بَابُ اللّه الَّذي يُؤتَى منه** - أنتُم الوسيلَةُ الأعظَمُ يا رَسُولَ اللّه إنَّنا نَعرِفُ هذا ونعتقدُ به - **بِنَا يَهْتَدِي الْمُهْتَدُون، فَمَن أَحَبَّنَا أَحَبَّهُ اللّه وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَه، وَمَن أَبْغَضَنَا أَبْغَضَهُ اللّه وَأَسْكَنَهُ نَارَه، وَلَا يُحِبُّنَا إِلَّا مَن طَابَ مَوْلِدُه** - هذه عقيدَتُنا يا رَسُولَ اللّه نَستيقظُ عليها وننامُ عليها..

القُرآنُ كُلُّه تَوسُّل، تفاصيلُ التَّوسُّل في القُرآن واضحةٌ، هؤلاء ضَالُّون وأغبياء وجَاهلُون الَّذينَ يُنكرونَ عَقيدَةَ التَّوسُّل في دينِ مُحَمَّد صلَّى اللّهُ عَلَيْه وَآله.

في سورة البَقَرَة، الآية السَّابعة والثَّلاثين بعدَ البسمَلَة: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّه كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْه**﴾، "يا مَحمُودُ بحقِّ مُحَمَّد، ويا عَالِي بِحقِّ عَلِيّ، ويا فَاطِرُ بِحقِّ فَاطِمَة، ويا مُحسِنُ بِحقِّ الحَسَن، ويا قَديمَ الإحسَانِ بِحقِّ الحُسين"، هذه هيَ الكلماتُ الَّتي تلقَّاها أبونا آدم نَزلَ بِها جبرائيلُ عليه، كانَ يعرِفُها ولكن بعدَ الَّذي جرى ما جرى في مَعصيته وكانَ الَّذي كان، لقد نَسي هذه الكَلمات، وقَطعاً هذه الكَلماتُ رُموزٌ، إنَّها تُشير إلى مضامينها العَميقة إلى علمِ أبينا آدم، فآدمُ من أكثرِ الأنبياء علماً، لم يَكُن من أولي العَزم، لَكنَّهُ كانَ من أكثرِ الأنبياء عِلْماً ومَفاتيحُ علمِه هي هذه الكَلمات، ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّه كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْه إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾.

في تَفسير إمامنا الحَسن العَسكريّ صَلَوَاتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيْه، طبعةُ ذوي القُربى - الطَّبعةُ الأولى/ قُمْ المقدَّسة/ الصَّفحة التَّاسعة والتِّسعين بعدَ المئة، حديثٌ طويلٌ سأقتَطِفُ بعضاً من عبائره، إمامُنا الزكيُّ العسكريّ يقول: **فَلَمَّا زَلَّت مِنْ آدَمَ الْخَطِيئَةَ وَاعْتَذَرَ إِلَىٰ رَبِّه عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: يَا رَبِّ تُب عَلَيَّ وَاقْبَل مَعْذِرَتِي وَأَعِدْنِي إِلَىٰ مَرتبَتِي وَارْفَع لَدَيْكَ دَرَجَتِي فَلَقَد تَبَيَّنَ نَقصُ الْخَطِيئَةَ وَذُلُّهَا فِي أَعْضَائِي وَسَائِرِ بَدَنِي** - هذه كلماتُ أبينا آدَم بعدَ أن نَزلَ إلى الأرض، فإنَّ آدَمَ يَطلُبُ هذه المرتبة الَّتي لأجلِها أمَرَ اللّهُ سُبحانَهُ وتعالى أن سَجدَت الملائكةُ بِكُلِّ مراتبِها ومَنازلِها - **قَالَ اللّهُ تَعَالَىٰ: يَا آدَم، أَمَا تَذْكُر أَمْرِي إِيَّاكَ بِأَنْ تَدْعُونِي بِمُحَمَّدٍ وَآله الطَّيِّبِينَ عِنْدَ شَدَائِدِكَ وَدَوَاهِيكَ وفِي النَّوَازِلِ الَّتِي تَبْهَظُك** - النَّوازلُ المصائبُ العَظيمة - **قَالَ آدَمُ: يَا رَبِّ بَلَىٰ، قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَتَوسَّل بِمُحَمَّد وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْن "صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِم" خُصُوصاً، فَادْعُنِي أُجِبْكَ إِلَىٰ مُلْتَمَسِك وَأُزِدْكَ فَوقَ مُرَادِك** - تَستمرُ الروايةُ، الوقائعُ فَصَّلها لنا أئمَّتُنا، والكَلماتُ هي هي الَّتي ذَكرتُها لَكُم..

في سورة البقرة، الآيةُ الرّابعةُ والعُشرون بَعدَ المئة بَعدَ البسمَلَة: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**﴾، إنَّها هيَ هيَ بِعينها كَلماتُ أبينا آدَم، قرأنا في الآية السَّابعةَ والثَّلاثين بَعدَ البسمَلَة من سورة البقرة؛ ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّه كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْه**﴾، لم تَقُل الآيةُ بأنَّهُ قد تَلقَّى تَمامَ الكَلمات، وإنَّما تَلقَّى كَلمات، فجاءت هذه اللَّفظةُ مُنكَّرةً من دُونِ تَعريف، وجاءت مُنوَّنَةً بالتنوين، إنَّها نَكرةٌ مُنوَّنَة، هذه الصِّيغةُ وهذا التعبيرُ يُشيرُ إلى أنَّ لِلكَلمات تَتمَّة، هَذه التَّتمَّةُ كَانت لأبينا إبراهيم: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾ - هذه الإمامةُ جاءت إبراهيم بعدَ الرِّسالَة والنُّبوَّة وبعدَ أن كَانَ من أولي العزم، آدَمُ لم يَكُن من أولي العَزم - **قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾، فهذه الكَلماتُ كانت وَسيلَة إبراهيم كي يَصِلَ إلى الإمامة.

في كتاب (الخصال) للصَّدوق، المتوفَّى سنة (381) للهجرة، طبعةُ مؤسَّسة النَّشر الإسلامي، قُمْ المقدَّسة/ الحديثُ الرّابعُ والثَّمانون: **بِسَنَده** - بِسند الصَّدوق - **عَنْ الْمُفَضَّلِ بنِ عُمَر، عَنْ إِمَامنَا الصَّادِقِ صَلَوَاتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيْه** - الْمُفَضَّلُ يَقُول: **سَأَلْتُهُ عَنْ قَول اللّه عَزَّ وَجَلَّ: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ"، مَا هَذه الكَلِمَات؟** - هذا سؤالُ الْمُفضَّل بنِ عُمَر لإمامنا الصَّادق - **قَالَ: هِيَ الكَلِمَاتُ الَّتِي تَلَقَّاهَا آدَمُ من رَبِّه فَتَابَ عَلَيْه، وَهُوَ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ إِلَّا تُبْتَ عَلَيَّ، فَتَابَ عَلَيْه إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم، فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُول اللّه، فَمَا يَعني عَزَّ وَجَلَّ بِقَوله: "فَأَتَمَّهُنَّ"؟ قَالَ: يَعني فَأَتَمَّهُنَّ إِلَىٰ القَائم** - تَستمر الرواية..

حينما نَقرأُ في الأدعية كدُعاء السَّحر الشَّريف في أسحارِ شَهرِ رَمضان: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ من كَلِمَاتِكَ بِأَتَمِّهَا)، هذه هيَ الكَلماتُ الأتَمّ - وَكُلُّ كَلِمَاتِكَ تَامَّة، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكَلِمَاتِكَ كُلِّهَا)، أتَمُّ الكَلمات هي هذه الَّتي أتَمَّت لإبراهيمَ الخليل، فَكانَت وَسيلَتَهُ إلى أن يَصلَ إلى ما وصلَ إليه من المنازل العَاليَة والقريبة من اللّه سُبحانَهُ وتَعالى، من دُونِ هذه الوَسيلَة ما كانَ إبراهيمُ يستطيعُ أن يَخطُوَ خُطوةً واحدة، بل لا يستطيعُ أن يَبقى في مَكانه سيتراجعُ إلى الوراء..

بِحَسَبِ دينِ العِتْرَة الطَّاهرة لا نستطيعُ أن نَتصوَّرَ التَّوحيدَ من دُونِ عَقيدة التَّوسُّل، عقيدةُ التَّوحيد في القُرآن بُنيت على هذا المضمون بِصُورتَيه؛

- بِصُورة التَّوجُّه بِهِم إلى اللّه.

- أو بِصُورة التَّوجُّه إليهِم.

فهذا تَوسُّل وهذا تَوسُّل، ولكُلِّ مرتبة من مراتبِ التَّوسُّل خَصائصُها ولوازمُها وضَوابطُها، إلى سائرِ شُؤونها المختلفة.

في سورة البقرة، وفي وقائعِ قُصَّة إبراهيم الخَليل صَلَوَاتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيْه، الآيةُ الخَامسةُ والعُشرون بَعدَ المئة بعدَ البَسْمَلَة وما بعدَها: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾، ما هذه صُورٌ مِنَ التَّوسُّل، البَيتُ وَسيلَةٌ إنَّهُ البيتُ العَتيق..

مَظاهرٌ من عَقيدة التَّوسُّل الَّتي هي مَلازِمةٌ لِعقيدة تَوحيدنا.

-**وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** - ما هذه مَعالمُ التَّوحيد، ولكنَّها تَجري عبرَ واقعِ التَّوسُّل، البَيتُ وَسيلَةٌ، ومَقامُ إبراهيم وَسيلَةٌ، وسائرُ المَناسك والطُّقُوس وَسيلَةٌ - **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾، ماذا تقولُ أحاديثُنا التَّفسيريَّة؟ هذه الثَّمراتُ ثَمراتُ القُلُوب، ما هيَ الثَّمرات الَّتي على الأشجار، قُرآنُهم وهُم أعْرفُ بقُرآنهم..

-**وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾، الَّذينَ يُؤمنونَ باللّه واليوم الآخر هُم الَّذينَ سَتُثمرُ قُلُوبُهم إذا كانَ إيمانُهم حقيقيّاً صادقاً، وتلكَ هيَ ثَمراتُ القُلُوب، ثَمراتُ القُلُوب؛ محبّةُ مُحمّد وآل مُحمّد..

في سورة آل عمران، الآية السَّادسة والتِّسعين بعدَ البَسْمَلَة وما بعدها: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا**﴾، وبَكَّةُ من أسماء مكَّة، وفي أحاديثنا التَّفسيريَّة فإنَّ بَكَّة هُو اسمٌ للمَسجد الحرام، أمَّا مكَّةُ فَهُوَ اسمٌ للمَدينة..

- **مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۞ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا**﴾، هذه الكَلماتُ تُخبِرنا عن مُستوىً من مُستويات التَّوسُّل الَّذي هُوَ جُزءٌ لا يتجزَّأُ من عَقيدة التَّوحيد بحسبِ دينِ مُحمَّد وآل مُحمَّد..

في سورة إبراهيم، الآيةُ السَّابعةُ والثَّلاثون بعدَ البسملة، من دُعاء إبراهيمَ الخليل: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ** - بحسبِ قراءة المصحف، بحسبِ قراءة العترة الطَّاهرة: ﴿**فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ**﴾، "**تَهْوِي إِلَيْهِمْ**": تَسقطُ إليهِم ما معنى هذا؟! "**تَهْوَى إِلَيْهِمْ**"، مِنَ الهَوى - **وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾، هذه ثَمرات القُلُوب - **لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾، فهذه الأفئدةُ من النَّاس تَهْوى إليهِم، تَهْوى إلى ذُرِّيَّة إبراهيم، مَن هُم الَّذينَ من ذُرِّيَّة إبراهيم يجبُ على النَّاس أن تَهوى قُلُوبهم إليهِم؟ ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ - هذه الآيةُ يَعرِفُها المُسلمون - **إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾، لن يَستطيعَ ابنُ زانيةٍ من أهل القبلة، ولن يستطيعَ قَوَّادٌ قَذِرٌ من أهل القبلة أن يُنكِر هذه الحقيقة، هذا أجرُ مُحمَّد صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله..

مَن هُم هؤلاء من ذُرِّيَّة إبراهيم والقُرآنُ يَتحدَّثُ عَنهُم؟ الآياتُ واضحةٌ، والسِّياقُ صَريح هؤلاء ذُرِّيَّةُ إبراهيم الَّذينَ تَجبُ مَودَّتُهم، مَن هُم هؤلاء؟ هل أحتاجُ إلى ذكرِ أسمائهم؟! ما هي القضيةُ واضحة جدّاً.

فهذه الثَّمراتُ الَّتي ذُكرت في سورة البقرة: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾، متى سيكونُ آمناً؟ عندَ ظُهورِ قائمِ آلِ مُحمَّد، فإنَّ مكَّة ما كانت آمنةً في يومٍ من الأيَّام..

لو تَتبَّعتُ آيات الحجّ الَّتي ذُكرت في القُرآن فإنَّها تُشيرُ بإجمالها وتَفصيلها تارةً من قَريبٍ وأخرى من بَعيد إلى التَّوسّل..

الآيةُ الثَّانيةُ والأربعون بعدَ البسملة من سورة يُوسُف: ﴿**وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ**﴾، إنَّها عَمليَّةُ تَوسّل، لكنَّها تَقَعُ في السِّياق الدُّنيويّ في جوِّ العَلاقات الاجتماعيّة الطَّبيعيّة العاديَّة، فإنَّ النَّاس يحتاجُ بعضُهم بعضاً..

في (تفسير العيّاشي)، لأبي النَّصرِ مُحمَّد العيّاشي رضوانُ اللّه تَعالى عَليه، جامعٌ من جوامع أحاديثنا التَّفسيريَّة المُهمَّة جِدّاً، الجزء الثَّاني من طَبعة مُؤسَّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الصَّفحة التَّاسعة والثَّمانين بعدَ المئة، الحديثُ التَّاسعُ والعشرون: **عَنْ شُعَيبٍ العَقَرقُوفِي** - نسبةً إلى عَقَرقُوف مَنطقةٌ عراقيّةٌ معروفة - **عَنْ إِمَامِنَا الْصَّادِقِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْه: إِنَّ يُوسُفَ أَتَاهُ جَبْرَائِيل فَقَالَ: يَا يُوسُف، إِنَّ رَبَّ العَالَمِين يُقْرِؤكَ الْسَّلام وَيَقُولُ لَك: مَنْ جَعَلَك أَحْسَنَ خَلْقه؟** - جَمالاً وَحُسناً، إنَّهُ الجَمالُ اليُوسُفيّ الَّذي يُضرب به المَثَل - **قَالَ** - إمامُنا الصَّادقُ - **قَالَ: فَصَاحَ وَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى الْأَرْض** - لأنَّ يُوسُف عَرِفَ أنَّ الكلام يرتبطُ بمحاولَته أن يَتوسَّلَ بساقي الخَمر، عبرهُ ومن خلاله إلى مَلك مصر - **ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ يَا رَبِّ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لَهُ** - جَبْرائيل - **وَيَقُولُ لَكَ** - رَبُّ العَالَمين يَقُولُ لَكَ - **مَن حَبَّبَكَ إِلَى أَبِيكَ دُونَ اخْوَتك؟ قَالَ** - إمامُنا الصَّادقُ قالَ - **فَصَاحَ وَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى الْأَرْض** - صَاحَ يعني أنَّ أنيناً بكى بُكاءً عالياً أظهرَ ما أظهرَ من التَّحسُّر والتَّوجع والتَّحزن - **ثُمَّ قَال: أَنْتَ يَا رَبّ، قَالَ** - جبرائيل - **وَيَقُولُ لَكَ** - رَبُّ العَالَمين - **مَن أَخْرَجَكَ مِنَ الْجُبِّ بَعدَ أَن طُرِحتَ فِيهَا** - الجُبّ البِئر - **وَأَيْقَنتَ بِالهَلَكَة؟ قَالَ** - إمامُنا الصَّادقُ - **فَصَاحَ** - فَصاحَ يُوسُف - **وَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى الْأَرْض ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ يَا رَبِّ، قَالَ** - جبرائيل يَقُولُ لهُ - **قَالَ: فَإِنَّ رَبَّكَ قَد جَعَلَ لَكَ عُقُوبَةً فِي اسْتغَاثَتك بِغَيْرِه فَالْبَث فِي السجنِ بِضْعَ سنين، قَالَ** - قالَ إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه عليه - **فَلَمَّا انْقَضَت الْمُدَّة أَذنَ لَهُ فِي دُعَاء الفَرَج** - أعطي الإذْن في أن يَدعُو بدُعاء الفَرج، لأنَّهُ قَبلَ هذه المُدَّة لَم يُؤذَن لهُ بدُعاء الفَرج، نَبيّ إذا دَعَا لابدَّ أن يُستجابَ دُعاؤه، ولذا فإنَّ اللّهَ مَنعَهُ من دُعاء الفَرج حتَّى أذنَ لهُ - **وَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى الْأَرْض ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَت ذُنُوبِي قَدْ أَخْلَقَت وَجْهِي عِنْدَك فَإِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِوَجه آبَائِيَ الْصَّالحِين إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعقُوب، قَالَ: فَفَرّج اللَّهُ عَنه** - تَوسّلٌ صريح - **قَالَ** - شُعيب العَقَرقُوفي - **فَقُلْتُ لَهُ** - فَقُلْتُ للصَّادق صلواتُ اللّه عَليه - **جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَنَدْعُو نَحنُ بِهذا الدُّعَاء** - بهذه الكَلمات الَّتي قَالَها يُوسُف وهُوَ يتوسَّلُ بآبائه إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويَعقُوب - **فَقَالَ: ادْعُو بِمِثْله، تَوسَّل، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَت ذُنُوبِي قَدْ أَخْلَقَت وَجْهِي عِنْدَك فَإِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِوَجْه نَبِيِّكَ نَبِي الرَّحْمَة وَعَلِي وَفَاطِمَة وَالحَسَنِ والحُسَينِ وَالأَئِمَّة عَلَيْهِمُ السَّلام** - إذا أردتُ أن أتتبَّع قُصَص الأنبياء في الكتاب الكريم سأحتاجُ إلى وقتٍ طويلٍ جدّاً لأنَّ قُصَص الأنبياء مَشحُونةٌ بمَضامين التَّوسّل، وهذا يطفحُ من كَلمات الآيات ويَظهرُ لنا أيضاً من روايات العترة وهي تُحدِّثُنا عن أسرارِ قُرآنها وعن تفاصيل تَواريخ الأنبياء من شيعة العترة الطَّاهرة.

قالَ القُرآنُ في أوائلِ سورة يوسف، الآيةُ الثَّالثةُ بَعدَ البَسْمَلَة: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾، هذا هُوَ أحسنُ القَصَص، أحسنُ القَصص بمضامينه، أحسنُ القَصص بعبره..

ونقرأُ كذلكَ في آخرِ آية من سورة يوسف: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾، فهذه القَصَصُ هيَ أحسنُ القصص، وهذه القَصَصُ عبرةٌ لأولي الألباب.. الآية التِّسعين بعدَ البسملَة وما بعدها: ﴿**قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ** - بعدَ أن عَرَفُوه، حينما ذَهبوا إلى مصر، أخوةُ يُوسُف - **قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي** - بنيامين الَّذي وَضَعَ السِّقايَةَ في رَحله كي يبقى عندَهُ في مصر - **قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا** - أنتَ أقربُ إلى اللّه ونَحنُ أخطأنَا - **وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ** - مُستوى من مُستويات التَّوسل، فاستجابَ لَهُم يوسف - **قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ** - وهذا التَّعبيرُ يُشيرُ إلى أنَّ مَنزلةَ يُوسُف الغَيبيّة أعلى من مَنزلة أبيه، فيوسُفُ أعطاهُم المغفرة، أعطاهُم المغفرةَ ليست من عنده أعطاهُم المغفرةَ من قبل اللّه، قالَ لَهُم: "يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُم"، المغفرةُ تتحقَّقُ لَكُم من جِهة وسيلَتهم، من جِهة يُوسُف - **الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾، نَبي هذا لا يتكلَّمُ مُجاملةً في موضوعٍ كهذا الموضوع، لقد مَنحهُم المغفرةَ الإلهيّة..

هذا مُستوىً من مُستويات التَّوسّل.

هُناكَ مُستوىً آخر: ﴿**اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا** - التَّبرُّكُ بآثار الأولياء، بآثار الأنبياء، التَّبرُّكُ بتُربَة الحُسَين تَوسُّلٌ، مَنزلةٌ من مَنازل التَّوسُّل - **فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا** - الرِّواياتُ تقول: من أنَّ يُوسُف حينَ أخرجَ القَميصَ مَنَ التَّميمة الَّتي كانت تُغَلِّفُ القميص إنَّها تميمةُ جَلْد، كانَ الأمر يَجري في مصر ويعقوبُ في فلسطين فإنَّ يَعقُوب شَمَّ الرَّائحة إنَّها رائحةُ النُّبوَّة، هذا القَميصُ هُوَ قميصُ إبراهيمَ الخَليل جاءَ به جبرائيلُ من الجنَّة حينما أرادوا أن يُلقوا به في النَّار فَلَبِسَهُ

إبراهيم وأُلقيَ به في النَّار، وَهُوَ عندَ إمام زماننا، الرِّوايات تقولُ هكذا، إنَّها مَواريثُ النُّبُوَّة ودَلائلُ الإمامة، لأنَّ يَعقُوبَ كانَ ضريراً - **وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴿۞﴾ **وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ** - حينَ خَرجت من مصر باتِّجاه فلسطين - **قَالَ أَبُوهُمْ** - وهُوَ في فلسطين - **إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ** - شَمَّ الرّائحةَ من هُناك، هذه رِيحُ النُّبُوَّة، رِيحُ النُّبُوَّة وسيلةٌ شَمّها تختلفُ عَن وَسيلة شَمِّ الرّوائح المختلفَة العاديَّة - **لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ** - لولا أن تَسخروا منِّي لأنَّ عائلتهُ كانت تسخرُ منه - **قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ** - أينَ أنتَ وأينَ يُوسُف، يُوسُفُ قد هَلَكَ، ماذا عانى الأنبياء حتَّى من عَوائلهم؟! - **فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** - أنا نَبيّ، لكنَّكُم تَسخرونَ منِّي، هُنا: **قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ** - فماذا قال؟ - **قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي** - استعمل (سَوفَ) تسويف، فإنَّ الأمر لا يتحقَّقُ الآن - **إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**، قَارِنوا بينَ هذا الكلام وبينَ كلام يُوسُف، ماذا قالَ لَهُم؟: ﴿**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾**، هذا مُستوى من مُستويات التَّوسّل بيوسُف، وهذا مُستوىً آخر إنَّهُ التَّوسُّلُ بقميص يُوسُف الَّذي هُوَ أساساً قميصُ إبراهيمَ الخليل، كان موضُوعاً في تَميمة، التَّميمةُ محفظةٌ جِلديَّةٌ تُوضَعُ فيها الأحراز، كانَ مشدوداً على يده، قد تقولونَ هذا القميصُ كم حَجمهُ حتَّى يُوضَعَ في تَميمة جلديَّة الَّتي تَكُونُ محفظةً للأحراز وللأدعية والتعويذات؟! ما هُوَ من قُماش الأرض إنَّهُ قَميصٌ جِنانيٌّ مادَّتهُ صناعتهُ تَختلفُ اختلافاً كُلِّياً عَنْ قماش عالَمنا التُّرابي، فكانَ موضُوعاً في هَذهِ التَّميمَة الَّتي كَانَ يعقوبُ قَدْ عَلَّقَهَا على ولده، علَّقَها على صدرهِ، علَّقَها على يده، التَّميمَةُ تُعلَّقُ على الصَّدر وتُعلَّقُ على اليد.

التَّوسُّلُ الثَّالث: ﴿**يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ** - إنَّهُم يَجعلونَ يعقُوبَ النَّبيّ وسيلةً، لَكِنَّهُ هكذا قال بِحسَبِ مَنزلته: **سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**.

النَّتيجةُ من جِهة يُوسُف كانت سريعةً، أمَّا النَّتيجةُ من جِهة يعقُوب لم تَكُن سَريعةً، وهذه هيَ مَراتبُ التَّوسّل، وترتبطُ بالوَسائل الَّتي يتَّخذُها الْمُتَوسِّلُون، هذا الكلامُ يُناسبُ الأُمَمَ الماضية، أمَّا نَحنُ فإنَّنا نتوسَّلُ بِنحوٍ مُباشرٍ بالوسيلة العُظمى، أيَّ حَظٍّ عظيمٍ هذا أنَّنا نَتوسَّل بأتَمِّ الكَلمات؛ "مُحمَّدٍ وآل مُحمَّد"..

الآيةُ الرّابعةُ بعدَ العاشرة بعدَ البَسْمَلَة من سُورة الجَاثية: ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**، الَّذينَ لا يَرجُونَ أيَّامَ اللّه هُم الشِّيعةُ الَّذينَ لا يَعرِفونَ عقيدةَ الْمَعاد مثلما هيَ في دِينِ العِتْرَة الطَّاهرة، فأيَّامُ اللّه هيَ أيَّامُ الْمَعاد الإلهيّ، أيَّامُ اللّه هي هيَ أيَّامُ مُحمَّد وآل مُحمَّد صَلَواتُ اللّه عَلَيهِم، إنَّها الأيَّامُ الثَّلاثة؛ "يومُ القَائم ويومُ الرجعة ويومُ القيامَة الكُبرى"، الَّذينَ لا يرجُونَ أيَّام اللّه إنَّهُم لا يَعرِفُونَها..

أعودُ إلى الآية: **"قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا"**؛ الَّذينَ آمَنُوا بالْمَعاد الإلهي، الَّذينَ آمَنُوا بالأيَّام الثَّلاثة، إنَّما آمَنُوا بِها لأنَّهُم يَعرِفُونها، لأنَّهُم قد تَفَقَّهوا في عَقيدَتهم، لأنَّهُم يَعتقدونَ العَقيدةَ السَّليمَة الَّتي هيَ عقيدةُ العِتْرَة الطَّاهرة من مَصادرِها الصَّحيحة؛ "من قُرآنهم المفَسَّرِ بِتفسيرهم، ومن حَديثِهم الْمُفهَّمِ بتفهيمهم"، بَعيداً عن خراء حوزة النَّجف..

مَن الَّذي جَعلَ هؤلاء لا يرجُونَ أيَّامَ اللّه؟ إنَّها حوزةُ النَّجف، هذه هيَ الَّتي جَعلَت الشِّيعة عُموماً لا يرجُونَ أيَّامَ اللّه لأنَّهُم لا يَعرِفونَ أيَّامَ اللّه ما هيَ..

إمامُنا الصَّادقُ صَلَواتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيه يَقُول في معنى هذه الآيَة:

في (تفسير القُمِّي)، جامعٌ من جوامع أحاديثنا التَّفسيريَّة، طبعةُ مُؤسَّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الصَّفحة الرّابعة والثَّلاثين بعدَ السِّت مئة: **بِسَنَده** - بِسند القُمِّي - **عَنْ دَاوُودَ بنِ كَثِير، عَنْ إِمَامنَا الْصَّادقِ صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلامُهُ عَلَيه فِي قَوْل اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: "قُلْ لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا يَغْفِرُوْا لِلَّذِيْنَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّه"، قَالَ: قُلْ لِلَّذِيْنَ مَنَنَّا عَلَيهِم بِمَعْرِفَتنَا أَنْ يَغْفِرُوْا لِلَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُونَ، فَإِذَا عَرَّفُوهُم فَقَدْ غَفَرُوْا لَهُم** - وهذا مُستوىً آخر من مُستويات التَّوسّل، هذه مغفرةُ الَّذينَ يعتقدونَ العَقيدة السَّليمة، الَّذينَ يتفَقَّهُونَ بِفقه عقيدة الرّجعة العَظيمة هُم الَّذينَ سيكُونُونَ وسيلةً لِمغفرة ضلال وذُنُوب وجَفاء الشِّيعة الَّذينَ لا يَرجُونَ أيَّامَ اللّه..